قصيدتا "نشيد الجبار" للشابي و"الثائر" لنذر الإسلام: دراسة مقارنة

✍ د. شفيق الإسلام *

الملخص:

إن قصيدة "نشيد الجبار أو هكذا غنى بروميثيوس" (١٩٠٩- ١٩٣٤م) من أشهر قصائد أبي القاسم الشابي، بين فيها الشاعر قضايا مجتمعه وقدم لها حلولا على نهج الشعراء الآخرين. وقصيدة "الثائر" من أقوى قصائد الشاعر البنغالي القاضي نذر الإسلام (١٨٩٩- ١٩٧٦م) وأجودها وأشهرها التي ظهرت فيها براعته الفنية وذاع بها صيته في جميع أنحاء البنغال. نشرت القصيدة أولا في مجلة "بجلي" ٦ يناير، ١٩٢٢م، وقرضها نذر الإسلام وهو ابن ٢٣ سنة حينذاك. ثم تتابع نشرها في مجلات وجرائد متعددة. وحظيت بشعبية كبيرة وأعجب بها روبيندرونات تاكور (طاغور) عندما أنشدها نذر الإسلام أمامه. ونظرا إلى أهمية قصيدتي الشابي ونذر الإسلام المشار إليهما آنفا، قمنا بدراسة مقارنة موجزة لهما في هذا المقال البحثي.

الكلمات المفتاحية: الشابي، نذر الإسلام، قصيدة نشيد الجبار، قصيدة الثائر، العربية، البنغالية

نص قصيدة "نشيد الجبار أو هكذا غنّى بروميثيُوس" للشابي

سَأعيشُ رَغْمَ الدَّاءِ والأَعْداءِ كالنِّسْر فوقَ القِمَّةِ الشَّمَّاءِ [١]

أَرْنو إِلَى الشَّمْسِ المضِيئَةِ..،هازِئاً بالسُّحْبِ، والأمطارِ، والأَنواءِ [٢]

---

* الأستاذ المساعد بقسم العربية بالكلية الحكومية العامة للبكالوريوس للبنات، كولكاتا، الهند

[١] الشمّاء: الشامخة؛ العالية.

[٢] الأنواء: الأمطار.

لا أرمقُ الظلَّ الكئيبَ.. ولا أَرى ... ما في قرار الهَوّةِ السوداءِ... [٣]
وأسيرُ في دُنيا المشاعِرِ، حَالِمَا، ... غرِداً- وتلكَ سعادةُ الشعراءِ
أُصغِي لموسيقى الحياةِ، وَوَحْيِها ... وأذيبُ روحَ الكونِ في إنشائي
وأُصِيخُ للصّوتِ الإلهيِّ، الَّذي ... يُحيي بقلبي مَيِّتَ الأصْداءِ [٤]
وأقول للقَدَرِ الذي لا يَنْثني ... عن حرب آمالي بكل بلاءِ: [٥]
لا يطفئ اللهبَ المؤجَّجَ في دَمي ... موجُ الأسى، وعواصفُ الأرْزاءِ [٦]
فاهدمْ فؤادي ما استطعتَ، فإنَّهُ ... سيكون مثلَ الصَّخْرة الصَّمَّاءِ
لا يعرفُ الشكْوى الذَّليلةَ والبُكا، ... وضَراعَةَ الأَطْفالِ والضُّعَفَاء [٧]
ويعيشُ جبَّارا، يحدِّق دائماً ... بالفَجْرِ.. بالفجرِ الجميلِ، النَّائي
املأْ طريقي بالمخاوفِ، والدّجى، ... وزَوابعِ الأشواك، والحَصْباءِ [٨]
وانشُرْ عليهِ الرُّعْبَ، وانثُرْ فَوْقَهُ ... رُجُمَ الرّدى ، وصواعِقَ البأساءِ [٩]
سَأَظلُّ أمشي رغْمَ ذلك، عازفاً ... قيثارتي، مترنِّما بغنائي
أمشي بروحٍ حالمٍ، متَوَهِّجٍ ... في ظُلمةِ الآلامِ والأدواءِ
النّور في قلبي وبينَ جوانحي ... فَعَلامَ أخشى السَّيرَ في الظلماءِ
إنّي أنا النّايُ الذي لا تنتهي ... أنغامُهُ، ما دامَ في الأحياءِ
وأنا الخِضَمُّ الرحبُ، ليس تزيدُهُ ... إلا حياةً سَطْوةُ الأنواءِ
أمَّا إذا خمدَتْ حَياتي، وانقَضَى ... عُمُري، وأخرستِ المنيَّةُ نائي [١٠]

---

[٣] رمق: نظر نظرا خفيفا. قرار: قعر. الهوّة: الحفرة العميقة.
[٤] أصيخ: استمع.
[٥] ينثني: ينصرف، يكفّ.
[٦] الأرزاء: المصائب.
[٧] ضراعة: خضوع.
[٨] الحصباء: الحجارة الصغيرة.
[٩] الرُجُم: الشهب تظهر في السماء. البأساء: الفقر والمشقة.
[١٠] نائي: ربما كانت ما ينوء به الشاعر من مصاعب الحياة.

وخبا لهيبُ الكون في قلبي الذي ... قدْ عاشَ مثلَ الشُّعْلةِ الحمْراءِ [١١]
فأنا السَّعيدُ بأنني مُتَحوِّلٌ ... عَنْ عَالمِ الآثامِ، والبغضاءِ [١٢]
لأذوبَ في فجر الجمال السرمديِّ ... وأَرْتوي منْ مَنْهَلِ الأَضْواءِ
وأقولُ للجَمْعِ الذينَ تجشَّموا ... هَدْمي وودُّوا لو يخرُّ بنائي [١٣]
ورأوْا على الأشواك ظلِّيَ هامِداً ... فتخيّلوا أنِّي قَضَيْتُ ذَمائي [١٤]
وغدوْا يَشُبُّون اللَّهيبَ بكلِّ ما ... وجدوا.. ليشوُوا فوقَهُ أشلائي [١٥]
ومضُوْا يمدُّونَ الخوانَ، ليأكُلوا ... لحمي، ويرتشفوا عليه دِمائي [١٦]

إنّي أقول . لَهُمْ . ووجهي مُشْرقٌ ... وَعلى شِفاهي بَسْمةُ اسْتِهزاءِ:
"إنَّ المعاولَ لا تهدُّ مَناكِبي ... والنَّارَ لا تَأتي عَلَى أعْضائي [١٧]
فارموا إلى النَّار الحشائشَ.. والعبوا ... يا مَعْشَرَ الأَطفالِ تحتَ سَمائي
وإذا تمرّدتِ العَواصفُ، وانتشى ... بالهول قَلْبُ القبّةِ الزَّرقاءِ [١٨]
ورأيتموني طائراً، مترنِّماً ... فوقَ الزّوابعِ، في الفَضاءِ النائي [١٩]

فارموا على ظلّي الحجارةَ، واختفوا ... خَوْفَ الرِّياحِ الْهوجِ والأَنواءِ..
وهُناك، في أمْنِ البُيوتِ، تَطارَحُوا ... عثَّ الحديثِ، وميِّتَ الآراءِ [٢٠]
وترنَّموا . ما شئتمُ . بِشَتَائمي ... وتجاهَرُوا . ما شئتمُ . بِعدائي

---

[١١] خبا: خمد وهدأ.
[١٢] الآثام: الخطايا والذنوب.
[١٣] تجشّم: تكلّف على مشقة.
[١٤] ذماء: بقية الروح.
[١٥] شبّ: أوقد النار. الأشلاء: القِطَع من اللحم.
[١٦] الخوان: طبق الطعام. ارتشف: امتصّ بشفتيه.
[١٧] المناكب: الأكتاف.
[١٨] انتشى: بدأ يسكر.الهول: الأمر الشديد. القبة الزرقاء: كناية من السماء.
[١٩] النائي: البعيد.
[٢٠] تطارحوا: تبادلوا. الغث: الردئ الفاسد.

أما أنا فأجيبكم من فوقِكم والشمسُ والشفقُ الجميلُ إزائي:

مَنْ جاشَ [٢١] بالوَحْيِ المقدَّسِ قلبُه لم يحتفِلْ بفداحة الأعباءِ. [٢٢]

قصيدة الثائر للقاضي نذر الإسلام

ترجمها من البنغالية إلى العربية: **د. شفيق الإسلام**

قل، أيها الشجاع ــ

قل: إن رأسي عال،

عند رؤيتي تنحنئ أمامي ذرى همالايا تواضعا!

قل، أيها الشجاع ــ

قل: أنا سببت العجب الدائم لربة العالمين بوصولي فوق عرشها،

فالقا سماء الدنيا العظيمة،

متجاوزا القمر والشمس والنجوم،

مخترقا الكرة الأرضية والسماوات (السبع)،

ثاقبا عرش الله!

في جبيني يسكن الإله رودرو[٢٣] المخيف، و تتوهج فيه النقطة الجبينية الملكية

لإلهة الانتصار جويشري النيرة !

قل، أيها الشجاع ــ

أنا عالي الرأس دوما!

أنا غير مغلوب، أنا عتيد ووحشي،

---

[٢١] جاش: هاج وتدفق.

[٢٢] ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٤، ص٢٩-٣١

[٢٣] رُودرُو: يحكى أن رودرو، حسب الأسطورة الهندوسية، خرج من جبين براهما في أوائل ساعات يومه في شكل ولد. وأخذ يتجول هنا وهناك مستذفئا. فسد براهما حاجته إلى الدفء جاعلا مسكنه في الشمس.

أنا نوتوراجْ [٢٤] الراقص في يوم هلاك عظيم [٢٥]، أنا إعصار وأنا دمار،

أنا رعب عظيم، أنا لعنة على العالم،

أنا مستحيل المقاومة،

أنا أكسّر كل شيء تكسيرا!

أنا لا نظام، أنا متمرد،

أنا أدوس تحت قدمي جميع أنواع القيود والقوانين والأنظمة!

أنا لا أطيع أي قانون،

أنا أغرق الفُلْك المشحون إغراقا، أنا طربيد وأنا لغلم طاف خطير!

أنا الإله دُهوْرْجُوتي[٢٦] الكثيف الشعر وأنا عاصفة شهر بويشاخ [٢٧] العشوائية.

أنا ثائر، أنا الابن الثائر لخالقة الدنيا.

قل، أيها الشجاع ــ

إن رأسي عال دوما!

أنا إعصار وأنا عاصفة هوجاء،

أنا أسحق كل ما يقع في طريقي!

أنا إيقاع الراقص المجنون،

أنا أرقص بطريقتي الخاصة، أنا سرور الحياة غير الممنون،

---

[٢٤] اسم من أسماء الإله شِيفَ الهندوسي. ومعنى نوتو: رقص، وراج: ملك. فمعنى كلمة نوتوراج إله الرقص. من أشكال رقص شيف العامة الشائعة تانْدُبْ و لاسْو. أما تاندب فهو رقص رجولي يقوم به شيف عندما يريد أن يهلك الكون، و لاسو رقص أنثوي متسم بالرحمة و الشفقة تقوم به فوَارْبوتي و هي زوجة الإله شيف.

[٢٥] هلاك عظيم، في الأسطورة الهندوسية، يقوم به الإله من حين لآخر لأسباب.

[٢٦] إسم من أسماء الإله شيف الهندوسي. وله شعر كثيف يعتقد الهندوس أن نهر غنغا يجري خلالها.

[٢٧] بُوْيْشاخ: الشهر الأول من الشهور البنغالية.

أنا راغات [٢٨] هامْبير، و تشانوتْ [٢٩] و هيندولْ (المحدثه للهدوء و السرور)،

أنا غير مطمئن وغير مستقر، وأنا أترنح في المشي وأتحرك

ويصيبني الذعر أثناء سيري في الطريق في كل لحظة؛

أنا أتحرك وأتمايل،

أنا عديم الاطمئنان والاستقرار، أنا أرتجف مثل راغ هيندولْ!

صاح، أنا أفعل كل ما أريد،

فأقاوم الحتوف وأعانق الأعداء،

أنا مجنون، أنا عاصفة هوجاء.

أنا طاعون وأنا مصدر خوف هذه الدنيا!

أنا هيبة الحاكم، ودمار شامل، وأنا ساخن وغير مطمئن دوما.

قل، أيها الشجاع ــ

أنا عالي الرأس دوما!

دائما أنا عنيد وصعب التغلب،

أنا غير مهزوم وكأس قلبي مترعة بالخمور دوما!

أنا لهب الهوم [٣٠] المحرق وأنا الناسك جومودوغْني سادن لهب الهوم،

أنا عبادة التخلي الهندوسية عن المواد [٣١]، أنا قسيس هندوسي و أنا إله النار

أوغْني [٣٢] !

أنا خلق، وأنا هلاك، أنا معمورة وأنا غوط الإحراق،

---

[٢٨] راغات: جمع راغ و هو شكل موسيقي كلاسيكي هندي.

[٢٩] الصواب: تشايانوت.

[٣٠] لهب الهُوم: لهب النار التي يلقي فيها الهندوس السمن للعبادة.

[٣١] تسمى 'جُغُو' في البنغالية.

[٣٢] أوغني: عند الهندوس، إله النار والطاقة وواسطة بين الآلهة. فتقدم القرابين إليه لتصل إلى الآلهة الآخرين. وهو إله دائم الشباب لأن النار توقد كل يوم من جديد.

أنا نهاية، أنا انتهاء الليل!

أنا ابن الإلهة إيْنْدْراني؛ القمر في يدي والشمس على جبيني،

في إحدى يدي ناي القصب المعوج، و في الأخرى آلة تورجو الحربية [٣٣] !

ازرقّ حلقي بسبب شربي السم الذي تمخض من بحر الآلام [٣٤] !

أنا الإله بومكيش [٣٥] (الكثير الشعر)، أنا أبطش بتيار غَنْغوتري [٣٦] غير المكبول!

قل، أيها الشجاع ــ

أنا عالي الرأس دوما!

أنا راهب، أنا جندي الألحان،

أنا ولي عهد وملابسي الملكية باهتة ومعصفرة!

أنا بدوي، أنا جنغيز،

أنا لا أنحني أمام أحد إلا نفسي!

أنا رعد وصوت أوْنْ الهندوسي على قمة الشمال الشرقي،

أنا الصوت المتفجر من صور إسرافيل،

---

[٣٣] تُورْجُو: آلة موسيقية حربية هندية قديمة.

[٣٤] تقول الأسطورة الهندوسية إنه ذات مرة اتفق الآلهة و الشياطين (واشورْ) على أن تعصر شراب عدم الفناء (nectar of immortality) من بحر اللبن. ورضيت ملكة الحيات باسوكي أن تشد حول جبل مُوندورْ. فأمسكت الشياطين رأسها والآلهة ذيلها، وجعلت تتجارّها حتى دار الجبل. فوضعته على بحر اللبن لمخضه. و بعد المخض، خرج من البحر أشياء بما فيها السم المهلك (هَلاهَلا) . فرهبت الآلهة والشياطين من تمخض هذا السم الذي يقوي على إبادة الخليقة كلها. فشربه الإله شيف لئلا ينتشر السم، لكن زوجته فواربوتي خنقت حلقه لتحمي الخلائق كلها التي توجد، حسب الأسطورة الهندوسية، في بطن شيف. ولكن السم كان ذا قوة وتأثير إلى حد أنه جعل عنق شيف أزرق.

[٣٥] بُومْكِيش: كلمة بنغالية معناها الشخص الذي له شعر كثير في السماء. هو اسم من أسماء الإله شيف الذي امتلئت من شعره السماء عندما جرى نهر غوانغا لأول مرة.

[٣٦] غَنْغوتري (Gangotri): مكان مقدس للهندوس يمر به نهر غوانغا لينزل من الجبل على السهل. تقع مجلدة غنغوتري في مديرية شمال كاشي بولاية أتَرخانْد الهندية. وهي من المنابع الرئيسية لنهر غوانغا ومن أكبر المجالد الواقعة في همالايا، يصل طولها إلى ٣٠ كم وعرضها يتراوح بين مترين إلى ٣ أمتار. انظر صورتها في يوتيوب.

أنا طبل [٣٧] الإله فيناكْفاني[٣٨] و رمحه الثلاثي الشعب [٣٩] و عصى رجل دين،

أنا آلة تشوكْرو [٤٠] و آلة شونخو الكبيرة [٤١]، و أنا صوت أون [٤٢] الشديد المصمّم!

أنا تلميذ الحكيمين المجنونين دُورْباشا و بيشّامِيترا،

أنا اهتياج مخيف لحريق الغابة فسأحرق العالم إحراقا!

أنا ضحكة ونشوة من السرور بقلب مفتوح، أنا معاد للخليقة ورعب عظيم لها،

أنا ابتلاع الإله رَاهُو [٤٣] الإثنتي عشرة شمسا يوم هلاك عظيم!

أنا هادئ أحيانا ومضطرب أحيانا، أنا متبع هواي أشد الاتباع،

أنا شاب قاتل دموي اللون، أنا أدوس كبرياء الإله [٤٤]!

أنا تهيّج العاصفة، وهدير البحر المتموج،

أنا مشرق، أنا لامع،

أنا ماء مندفع وصوته تُشْوَالْ تُشْوَالْ، وأنا اضطراب الأمواج مثل راغ هندول!

أنا ضفيرة الفتاة المرسلة، ونار في عين الفتاة الرشيقة،

أنا حب الفتاة في السادسة عشر من عمرها الذي ينشأ في قلبها مثل الوردة

المتفتحة، أنا سعيد! ـ

أنا قلب شارد الذهن،

---

[٣٧] و يقال لهذا الطبل في البنغالية ' دُمْرُو ' و هو طبل صغير مثل الساعة الرملية يعزف عليه العازف بتحريكه بإحدى يديه. ويمثل الطبل في يسرى شيف صوت اوْن الذي نشأت منه جميع اللغات، كما أن شيف أنشأ اللغة السنسكريتية من صوت هذا الطبل، حسب الأسطورة الهندوسية.

[٣٨] اسم من أسماء الإله شيف حاملا القوس.

[٣٩] الرمح الثلاثي الشعب (في البنغالية: تِريشُولْ) سلاح شيف في يده اليمنى، حسب الأسطورة الهندوسية، يحارب به القوات السلبية المتمثلة في مردة الشياطين.

[٤٠] آلة هندية دولابية الشكل.

[٤١] شونخو الكبيرة: آلة موسيقية حربية قديمة كبيرة.

[٤٢] أُوْنْ: الدعاء الذي يبتدئ به الهندوس العبادة.

[٤٣] راهو: رئيس الشياطين في الديانة الهندوسية، الذي يبتلع الشمس فيقع خسوف الشمس.

[٤٤] صدر من الشاعر هذا الكلام طبقا للتقليد الهندوسي.

أنا تنهدات البكاء وزفراته في صدور الأرامل وأنا الحسرة الشديدة للأسف!

أنا ألم الحرمان في قلوب أبناء السبيل فاقدي البيوت، ساكني الطرق دوما،

أنا وجع قلب الذليل، ووجع السم، وحركة جديدة في صدر المضطهد المحبوب!

أنا قلَق القلب المتشكي الدائم الغيظ وألمه العميق،

أنا رعشة سارق التقبيل وارتجاف العذراء عند اللمسة الأولى!

أنا نظرة خاطفة لعشيقة سرية، ونظرها بحيلة دوما،

أنا حب الفتاة المضطربة ورنين أساورها!

أنا دائم الطفولة ودائم المراهقة،

أنا طرف خمار الفتاة الريفية الخائفة من الشباب، وخمار صدرها!

أنا شَمأل وجَنوب وصبا عشوائية،

أنا راغيني [٤٥] عميق للشاعر المتجول وتغنيه بلا مزمار!

أنا ظمأ الصيف المؤلم، والشمس المحرقة،

أنا خرير الماء من ينبوع الصحراء، أنا مشكال الخضرة [٤٦]!

أنا أجري مسرورا بفقد نفسي، فيا للجنون! أنا مجنون!

أنا اكتشفت نفسي فجأة، فانحلت جميع قيودي!

أنا صعود، أنا هبوط، وأنا يقظة القلوب النائمة،

أنا راية الفتح في مدخل الدنيا، أنا علم الانتصار الإنساني!

مثل العاصفة أجري في الجنة والدنيا مصفقا بكفي،

---

[٤٥] راغيني: شكل موسيقي كلاسيكي هندي.

[٤٦] المِشكال: أداة تحتوي على قطع متحركة من الزجاج الملون ما أن تتغير أوضاعها حتى تعكس مجموعة لانهاية لها من الأشكال الهندسية المختلفة الألوان.

يعدو مركبايا البراق المسرع و أتشويشروبا [٤٧] الفرس و هما يصهلان صهيل التحدي!

أنا بركان في صدر الغبراء، وأنا النار التي يتقيأها فرس البحر بشكل مستمر

وأنا الحريق الهائل الذي يهلك الكائنات جمعاء يوم القيامة،

أنا صوت عال مبهم لبحر النار المتموج تحت الثرى وصوته كُوالْ كُوالْ!

أنا أركض وأقفز فأمتطي البرق وأطير على متنه،

أنا ناشر الرعب والزلزال في الدنيا بغتة!

أنا أمسك بذراعِي رأس باسوكي [٤٨] ملكة الحيّات،

وأنا أمسك بذراعِي أجنحةَ جبريل النارية!

أنا ابن إله، أنا غير هادئ،

أنا وقح أمزق بأسناني أطراف ثوب أم العالمين!

أنا ناي الموسيقي أورفيوس السحري،

الذي يغني للبحر المتموج فيهدأ وينام،

أنا أهدّي العالم بقبلاتي!

أنا ناي الإله شِيام [٤٩]!

متى أعدو وأمر بالسموات غاضبا،

تنطفئ بهيبتي النيران السبع والهاوية من ارتعاد!

أنا حامل علم الثورة عبر الدنيا كلها!

---

[٤٧] أُتشُويشُرُوبا: هو، في الأسطورة الهندوسية، فرس الإله إندرُو، الذي خرج بسبب مخض البحر، و له سبعة رؤوس.

[٤٨] باسوكي: ملكة الحيات لها ألف رأس، حسب الأسطورة الهندوسية. وهي حية الإله شيف القاتلة ويلبسها في عنقه حلية له.

[٤٩] اسم لكريشنا و هو موسيقي سمائي هيّج بموسيقاه، و هو مراهق، عذارى بَراج.

أنا فيضان شهر شَرَابون [٥٠]،

أحيانا أجمّل الغبراء، وأحيانا أجعلها بالدمار الشامل ملعونة ــ

سأنزع البنتين [٥١] من صدر الإله وِيشنُو !

أنا ظلم وجور، أنا شهاب وأنا زحل،

أنا حرارة المذنّب [٥٢] وأنا الحية الشديدة البرودة السامة!

أنا تُشوندي [٥٣] الإلهة المفصولة الرأس الثائرة الغاضبة التي تسبب الدمار الكامل،

أنا أبتسم ابتسامة الأزهار جالسا على نار جهنم!

أنا خلقت من الطين ولكني ذو معارف،

أنا لا أشيب، ولا أفنى ولا أبلى!

أنا رعب للإنسان والشياطين والآلهة، وغير مغلوب في هذه الدنيا أبدا،

أنا الإنسان الكامل وأنا الحق،

أنا أرقص بطريقتي مجنونا في الأرض والجنة والجحيم!

أنا مجنون، أنا مجنون!!

أنا اكتشفت نفسي اليوم، فانحلت جميع قيودي!!

أنا الفأس الشدير المدمر لبُرشورامْ [٥٤]،

---

[٥٠] شَرَابون: الشهر الرابع من الشهور البنغالية

[٥١] البنتين: أريد بها لُوكّهي إلهة البركة و سُوارُسوتي إلهة العلم.

[٥٢] المذنّب: نجم ذو ذنب.

[٥٣] تشوندي: مظهر للإلهة دورغا مغمورة بحماسة بالغة عندما قطعت رأسها، و رقصت ممسكة الرأس المفصول بيدها، حسب الأسطورة الهندوسية.

[٥٤] بُرشورامْ معنى -بوْرْشو الفأس، فمعنى الكلمة رامْ حاملا القوس. تجسد الإله بيشنو في بُرشورام الذي قتل طبقة خوتريو الهندوسية. وهو الرسول السادس للإله شيف، و الفاس سلاحه قدمها إلى برشورام و علمه استخدامها.

سأجعل الدنيا خالية من طبقة خوترِيُو الهندوسية، وآتي بالسلام الوارف الظلال!

أنا محراث على عاتق بولرام القوي [٥٥]،
أنا سأقتلع هذه الدنيا المكبّلة بكل يُسْر،
مغمورا بسرور خلقها من جديد!

سأهدأ وأنا ثائر عظيم أتعبته الحروب،
يومَ لا يُسمع بكاء المضطهدين في السماء والهواء،
ولا تصِلُّ السيوف والخناجر الرهيبة في ساحة المعارك ــ
ذلك اليوم ستهدأ نفسي الثائرة المتبعة بالحروب!

أنا الثائر بهرِيغُو [٥٦] أترك أثر القدم على صدر الإله،
أنا سأشق صدر الإله الخيالي المولد للرزية والأسى!
أنا بهريغو الثائر، سأترك أثر القدم على صدر الإله!
سأشق صدر الله الخيالي!

أنا ثائر وشجاع دائم ــ
أنا صعدت من الأرض وحيدا عالي الرأس دوما! [٥٧]

شرح موجز لقصيدة نشيد الجبار أو هكذا غنى بروميثيوس:

---

[٥٥] بُولْرام: شقيق كريشنا الأكبر ويحمل المحراث على عاتقه، و يقال أنه كان يملك قوى غير محدودة، حسب الميثولوجيا الهندوسية.

[٥٦] بهْريغو: ناسك هندوسي غضب على الإله بيشنو فداس صدره بقدمه، حسب الأسطورة الهندوسية.

[٥٧] ترجمنا قصيدة 'الثائر' من أصلها الوارد في كتاب *سُوتَتِشيتا* (المختارات) للشاعر القاضي نذر الإسلام، دي. إيم. لائبريري، كولكاتا، ٢٠١٣، ص ١–٦؛ ونشرت هذه الترجمة في مجلة ثقافة الهند، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، دهلي الجديدة، المجلد: ٦٧، العدد: ١، ٢٠١٦.

اعتنى أكثر من باحث ومترجم بدراسة أشعار الشابي، وعقد المقارنات بينه وبين آخرين، سواء أكانوا عربا أم غربيين. ولعل أقرب المقارنات كانت بالشاعر بالإنكليزي جون كيتس (١٧٩٥-١٨٦١). كما كان أسبق المترجمين لأشعاره صديقه محمد البشروش ثم المستشرق الإنكليزي أرثر أربري كما ترجمت أشعاره إلى معظم لغات العالم، وهذه الترجمة تؤكد أنه شاعر عالمي وإنساني من طراز فريد. وهو لهذا جدير بأن يقرأه محبو الشعر في كل مكان.

هذا الإنتاج الزاخر، والنبوغ الباكر، كان لا بد أن يثير حوله ضجة ويكثر حساده، فانتقدوا عليه باسم النقد، ولم يتمكنوا من ستر الهوى والمحاربة العلنية، ليس في ميدان الأدب وحده، بل أيضا في المجالات الخاصة. فكان التعريض حتى عند انتقال الشاعر من بلده، أو إقامته للاستشفاء.. ولكن كل هذا لم يزد شاعرنا إلا اعتدادا بنفسه وبقيمته الأدبية، حتى كتب القصيدة المذكورة آنفا.

وفي هذه القصيدة لا يعبر الشاعر عن نفسه إلا بالطائر المحلق في قبة الفلك، وفي حين يرشق الحاسدون ظله بالحجارة، ثم يفرون من العاصفة، مختبئين في قعر البيوت، ليتبادلوا شتمه في أمن واطمئنان، وهو يخفق من فوقهم في سمائه، وعلى يمينه الشمس المتوهجة وعلى يساره الشفق الجميل. فالشمس والشفق لا يعبران مجازيا عن الحق الذي يراه بجانبه فحسب، بل إنهما جزء من نسيج تصويري يجمع الشمس والشفق والمائدة والحلم، والخوف والبسمة، نسيج لا يتجزأ، يشير إلى ما في الرجل من نخوة واعتزاز وتمسك بالحق، إلى جانب ما يبرزه من جبن شانئيه، وكيدهم الواهن، ونارهم المتوقدة.

شرح موجز لقصيدة الثائر:

كتب نذر الإسلام قصيدة "الثائر" بعد رجوعه من الحرب العالمية الأولى (١٠١٤-١٩١٩) بثلاث سنوات. قرضها في خلفيات الحرب العالمية الأولى، والثورة البلشفية في روسيا (١٠١٧)، وظهور كمال أتاتورك في تركيا والحركة ضد

الحكم البريطاني وحركة اللاتعاون في الهند. فإن الاستعمار الإنكليزي الغاشم الجبار قد بسط نفوذه و سيطرته على جميع بقاع الهند بعدما بدأ احتلالها منذ حرب بلاسي (The battle of Plassey) التي دارت رحاها بين جنود كلائف و جيش سراج الدولة العرمرم حيث هزم حاكم البنغال و بيهار و أوريسا الحر الأخير و فازها كلائف و أنصاره من خونة البنغال لسوء الحظ في ١٧٥٧م، وخضعت الهند للاحتلال البريطاني تماما بعد الثورة الهندية الفاشلة المعروفة في ١٨٥٧م. و الآن العدو قوى جبار قد أثبت براثنه في جميع الهند يحاول جهده لقمع التمردات و الثورات، كما يحاول لإسكات و إيقاف جميع أنواع التظاهرات و النعرات و الهتافات، و لكن رغم هذه المحاولات لقمع الأصوات و إكباتها، إن الأصوات مرتفعة، و الصراخات عالية و الضجات مسموعة و المظاهرات جارية و جلسات الاحتجاج معقودة و المسيرات منظمة. وفي هذه الظروف رفع شاعر الهند الثائر من البنغال صوته العالي المليء بالعواطف الجياشة النبيلة الملخصة تجاه سوء حال الهند التي هي بلده، لتحريرها من براثن الاستعمار الإنكليزي الغاشم من خلال تحريض الهنود على الجهاد ضد عدوهم وإيقاظ هممهم. فبالإضافة إلى قصائد كثيرة ثورية، نظم قصيدته المذكورة آنفا اعنى الثائر (بيدروهي). ولجأ الشاعر فيها إلى الخيال المجنح واستمد من الأساطير الهندوسية كما استوحى المقدسات الإسلامية. و من الأساطير الهندسية رُوْدْرُوْ الإله الساكن في الشمس و إلهة الانتصار جويشري، و نوتوراج الذي يرقص لتدمير العالم و دهورجتي الإله الكثيف الشعر و الناسك جومو دوغني و إله النار أوغني، و الإله بومكيش الكثير الشعر، و صوت "أون" الهندوسي، و طبل الإله فيناكفاني و رمحه الثلاثي الشعب، و الإله راهو، و ناي الإله شيام و الإلهة تشوندي الثائرة الغاضبة و فأس بور شورام الشديد و محراث

بولرام القوي و الثائر بهريغو، و استمد من المقدسات الإسلامية من أمثال عرش الله، و البراق، و النيران السبع و الهاوية و أجنحة جبريل و غير ذلك.

إن هدف الشاعر من هذه القصيدة و أمثالها مقاومة الاستعمار الإنجليزي في الهند و الثورة ضده؛ فاستخدم فيها التعبيرات و الجمل التي اعتبرها أجدى و أنسب في تأجيج عواطف الهنود ضد الاستعمار مستمدا أمورا كثيرة من الأساطير الهندوسية و الإسلام. [٥٨] ولم يكن الغرض منها تحدي الله و الملائكة و ما إلى ذلك أو جرح مشاعر المسلمين و الهندوس بل كان الغرض منها إضفاء القوة و الحيوية في قصيدته.

مقارنة بين القصيدتين:

والآن سنقوم فيما يلي بمقارنة بين قصيدتَي "نشيد الجبار" للشابي و"الثائر" لنذر الإسلام: إن أوجه التشابه في قصيدتي "نشيد الجبار" للشابي و"الثائر" لنذر الإسلام، فكلا الشاعرين يحاربان أعداءهما: يتحدى أبو القاسم الشابي أعداءه قائلا إنه سيواصل مسيرة حياته الاجتماعية والشعرية الفكرية رغم دائه وأعدائه الحاسدين الحاقدين ويسمو فوقهم مثل النسر الذي يعلو في الجو ويصل إلى قمته وفوق جميع الطيور الأخرى، كما يقول إنه سيستهزئ بحساده بعد ارتفاعه في الجو، ويزدري أعداءه ولن ينظر إليهم. وبذلك سيسير في دنيا الأحلام والمشاعر ويستمع إلى موسيقى الحياة والصوت الإلهي ثم يمزج مشاعره بالطبيعة ويعبر عنه في شعره تعبيرا قويا جياشا. إن الشاعر لا يبالي بالتحديات التي تأتي من أبواب الأسى والأرزاء؛ لأن قلبه مثل الصخرة الصماء، فلا يشكو مثل ضعفاء الناس ولا يبكي مثل الأطفال، بل " يعيش [فؤاده] جبارا،

[٥٨] راجع للتفصيل: رفيق الإسلام، *قاضي نذر الإسلام: جِيبُون وُ سِرِيجُون* (القاضي نذر الإسلام: حياته و إنتاجاته)، نذرل إنستيتيوت، داكا، بنغلاديش، ٢٠١٢م، ص ١٠٠

يحدق دائما بالفجر ...، بالفجر الجميل، النائي". ولا يحفل الشاعر بالمخاوف من أمثال الدجى والطرق الشائكة العذراء. وكل أولئك لن يثنيه عن عزف قيثارته والترنم بغنائه. ثم يقول الشاعر إنه نفسه نور؛ فلا يحتاج إلى نور، وهو ناي لا تنفد أنغامه وخضم رحب في هذه الدنيا. وإنه سيكون سعيدا حتى بعد وفاته؛ لإنه يتحول بذلك من عالم الآثام والبغضاء ليذوب في فجر الجمال السرمدي. ويقول الشابي للذين حسدوه وأرادوا هدم حياته وشمتوا به: إنه سعيد ووجه مشرق وعلى شفتيه بسمة استهزاء ولا يضره كيدهم؛ لأنه في جو عال لا تصل حجارتهم إليه ولا يقدرون إلا على ضرب ظله بالأحجار، ويخاطبهم أخيرا قائلا: "من جاش بالوحي المقدس قلبه لم يحتفل بحجارة الفلتاء". هكذا يتحدى أبو القاسم الشابي أعداءه ويبدي شجاعته وبهذه الطريقة يقاومهم ويتغلب على مشاكله ومصائبه وآلامه.

أما قصيدة "الثائر" البنغالية لنذر الإسلام، فالشاعر يحارب فيه الاستعمار الإنكليزي في الهند من خلال تأجيج عواطف الهنود وحثهم على قتال العدو ويتحداه مستقويا الأساطير الهندوسية مثل الإله رودرو، والإلهة جويشري، ونوتوراج الراقص في يوم الهلاك العظيم، الإله دهورجوتي، وابن الإلهة إيندراني، والإله بومكيش، والإله فيناكفاني، والإله راهو الذي سيبتلع الاثنتي عشرة شمسا يوم هلاك عظيم، الإله ويشنو، الإلهة تشوندي الثائرة الغاضبة التي تسبب الدمار الكامل، وبورشورام، وبولرام القوي الذي سيقتلع بمحراثه هذه الدنيا بكل يسر. كما يستمد الشاعر قوته وشجاعته من المقدسات الإسلامية من أمثال البراق، وجبريل والنيران السبع والهاوية وصور إسرافيل وما إلى ذلك. وكذلك استخدم نذر الإسلام عناصر الطبيعة لإظهار قوته، مثل: جبال هماليا، والسماء، والأرض، والشمس، والقمر والنجوم وأشياء أخرى كما قارن نفسه بعاصفة شهر بويشاخ البنغالي، وتيار غنغوتري الشديد، وحريق الغابة، وتهيج

العاصفة وهدير البحر المتموج، وشمأل، وجنوب، وصبا عشوائية، وظمأ الصيف المؤلم، والشمس المحرقة، والبركان، والصوت العالي لبحر النار المتموج تحت الثرى فيضانات شهر *شرابون*[٥٩]، وزحل، وشهاب، وحرارة النجم ذي ذنب وابتسامة الأزهار. وبهذا الأسلوب يتحدى القاضي نذر الإسلام ويظهر قوته ويبدي شجاعته.

وهكذا تتشابه نقاط كثيرة من مضمونَي القصيدتين المذكورتين أعلاه للشاعرين أبي القاسم الشابي العربي والقاضي نذر الإسلام البنغالي.

الخاتمة:

ومن النتائج التي توصلت إليها بدراستي هذه، أن الشاعرين كليهما يحاربان أعداءهما: أبو القاسم الشابي زملاءه ومعاصريه الحاسدين والحاقدين ونذر الإسلام الاستعمار الإنكليزي. الشابي يستمد قوته من النسر المحلق في كبد الفلك وعلى يمينه الشمس المتوهجة وعلى يساره الشفق الجميل ومظاهر الطبيعة الأخرى ونذر الإسلام يستقوي بالأساطير الهندوسية والمقدسات الإسلامية وعناصر الطبيعة وأشياء أخرى. كلاهما يفعلان ذلك لإرهاب أعدائهما وإظهار أنهما قادران كل القدرة على محاربتهم والانتصار عليهم.

..... ❖❖❖❖❖ .....

المصادر والمراجع:

١. ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٤،

[٥٩] . اسم من أسماء الشهور البنغالية.

٢. كتاب *سُوتتِشِيتا* (المختارات) للشاعر القاضي نذر الإسلام، دي. إيم. لائبريري، كولكاتا،

٣. رفيق الإسلام، *قاضي نذر الإسلام: جِيبُونْ وُ سِرِيجُونْ* (القاضي نذر الإسلام: حياته و إنتاجاته)، نذرل إنستيتيوت، داكا، بنغلاديش، ٢٠١٢م

٤. مجلة ثقافة الهند، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، دهلي الجديدة، المجلد: ٦٧، العدد: ١

..... ❖❖❖❖❖ .....